لبنان

تكريم رئيف خوري

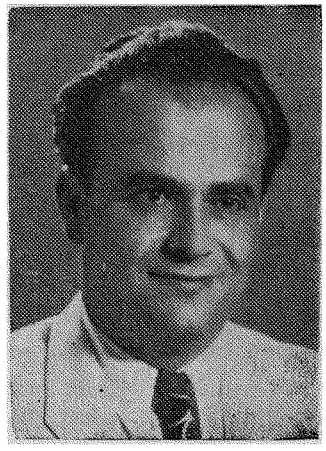

أعلنت جمعية أصدقاء الكتاب في لبنان انها منحت جائزتها الاولى (جائزة رئيس الجمهورية اللبنانية) لهذا العام الى الاديب الكبير الاستاذ رئيف خوري ، تقديرا لجهوده في الحياة الادبية في لبنان . وقد توجه وفد من أعضاء الجمعية الى قرية « نابيه » التي ينزل فيها الاستاذ خوري ملازما الفراش منذ فترة من الزمن ، وأبلغه نبأ منحه الجائزة وسلمه شكا بمبلغ خمسة الاف ليرة لبنانية ، قيمة الجائزة .

ويبذل فريق من الادباء جهودا مختلفة لمساعدة الاديب الكبير في مرضه وتقديم المعونة لاسرته ، كما يتوافد المفكرون والادباء الى منزله لتمني الشفاء العاجل له وعودته الى حياة الفكر والادب والتعليم وهي حياة حافلة بكل مكرمة وعطاء .

وقد كتب الدكتور جورج حنا في جريدة « لسان الحال » يعلق على منح الجائزة فقال :

« الشكر لجمعية أصدقاء الكتاب ، لمنحها رئيف خوري جائزة رئيس الجمهورية ، التي هي أرفع جوائزها .

والتهنئة هي ايضا لهذه الجمعية ، اذ وجد في « بلد الاشعاع » بعد طول الانتظار ، هيئة ذات صفة رسمية ، تقدر الادب ، وتكافىء الاديب ، على ما يعطيه للناشئة اللبنانية من زاد المعرفة .

وليس من أعطى من هذا الزاد اكثر من رئيف خوري .

ان هذا الاديب الكبير الذي اسمه رئيف خوري ، ليس كبيرا فقط فيما وضعه من مؤلفات ، وما كتبه في الصحف من مقالات .. بل ما زاده كبرا ، تكريس حياته لتزويد الناشئة اللبنانية بالمعرفة ، من معرفته هو .. والمعرفة هي من بين سائر الرساميل ، أغلاها وأجلها فائدة ، ليس لصاحبها فقط ، بل لهذا الوطن العزيز .

ان رئيف خوري « المعلم » ، ما كان يترك ساعة من ساعات نهاراته تمر ، دون ان يعطي من عمق معرفته ، ما يزود أبناء وطنه ، الذي ما أحب على قلبه منه وطن ، بزاد العلم والمعرفة .. يتجول من مدرسة الى مدرسة ، من الصبح حتى المساء ، والكتاب بيده ، يلقي على طلابه الذين لا يحصى لهم عد ، ما يكون في سهراته الطويلة في الليل ، قد اختار من مطالعاته ، افيدها وانفعها لهم ... فاذا قلت ان رئيفنا المحبوب ، هو المعطاء ، فلست أحسب ان أحدا لا يوافقني ، على ما أقوله فيه .

لقد عرفت الكثيرين من طلاب رئيف خوري ، يندبون حظهم ، لحرمانهم من هذا المعلم ، مدة مرضه ، ويدعون الى الله ألا تطول مدة غيابه عنهم ، فيعود ، ويعطيهم ما لا يعطيه أي معلم غيره .

ان رئيف خوري ، الاديب الملتزم .. الملتزم الفكر التقدمي الحر.. لا يساوم ولا يداهن .. كلمته تنبع من صميم نفسه ، يقولها بجرأة نادرة واخلاص ليس اكثر منه اخلاص .. انه مع فقره المادي ، أغنى الاغنياء في تمسكه بالحرية .. حرية الرأي ، وحرية القول ، وحرية الكلمة .. راضيا بفقره المادي ، ليرى الحرية تتوج وطنه .

اقصى أمانينا ، الا تطول مدة غيابه ، عن الذين يعلقون آمالهم عليه ، وهم كل من يحبون لبنان » .

ج.ع.م.

لمراسلة « الاداب » الخاصة

بين الادارة .. والخلق الادبي

***

أجريت في الايام القليلة الماضية حركة تنقلات في قيادات المراكز الثقافية لم نتبين أسبابها بعد . وقد كان أهم اجراءاتها انتداب الاستاذ محمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة المسرح والموسيقى ، بدلا من الدكتور علي الراعي الذي نقل مستشارا لوزير الثقافة وعميدا للمعهد العالي للفنون المسرحية .

وكان الاستاذ محمود أمين العالم قبل ندبه رئيسا لمجلس ادارة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، وللوهلة الاولى نجد ان ندب العالم كسب كبير لمؤسسة المسرح بلا شك ، ولكنا اذا أمعنا النظر وجدنا اننا نخسر بهذا ناقدا ومفكرا من كبار كتابنا ونقادنا . فقد أثرى العالم حياتنا النقدية ـ قبل هذه المناصب ـ باضافات قيمة ، وهو ككاتب يجب أن يكون همه الاوحد ، كما قال أحد الفلاسفة : « أن يكون صانعا أولا وأخيرا للكتب » .

والحق انه اذا استمر استبقاؤنا للمفكرين في مراكزنا الادارية فستصاب الحركة الفكرية بالعقم ، ولعلنا لن نكسب من وراء ذلك اداريا ناجحا ..

عندما كان نجيب محفوظ رئيسا للجنة القراءة بمؤسسة السينما شاهدناه في لحظات لا يحسد عليها .. فقد كان يسقط في حيرة عميقة اذ كنا نتجادل في تقييم عمل أدبي لاحد القصاصين المشهورين وصلاحيته او عدم صلاحيته للانتاج السينمائي . كان يتحرج من ابداء رأيه ويضع نصب عينيه ان لهؤلاء الكتاب مدارس وجمهورا ، فيحاول

بسعة أفقه أن يضع نفسه في موقف المتعاطف مع هذه النصوص .

وقبله شاهدنا صلاح أبو سيف ـ عندما كان رئيسا للشركة العامة للانتاج السينمائي العربي ـ يفكر مرتين قبل حرمان مخرج من اخراج فيلمه لانه في نظره ليس كفؤا لاخراج هذا النوع من الافلام .

وحين اختير نجيب محفوظ وصلاح أبو سيف على أساس « وضع الانسان المناسب في المكان المناسب » تناثرت الكلمات حول اختيارهما خاصة من أصحاب الاعمال المرفوضة الذين أشاعوا انهما (نجيب محفوظ وصلاح ابو سيف) يتصوران نفسيهما وقد أصبحا الكاتب والمخرج الوحيدين في مصر ، وكل ما عداهما جفاف .

ولمحمود امين العالم نفسه موقف اخر .. فهو ملتزم باتجاه ايدلوجي واضح ومعروف ، وحين يوكل اليه عمل جماهيري ، فان طاقاته لن تتجه الى انجاح العمل الذي وكل اليه فقط ، بل هو مطالب أيضا باثبات عدم التزامه بفكره الايدلوجي ، وبأن يقبل أعمالا لا تتفق مع اتجاهه ، وربما تخالف الاتجاه الايدلوجي الذي ارتضاه لنفسه .

وأقرب مثال على ما ذهبنا اليه تضربه لنا مجلة « الفكر المعاصر » هذا الشهر ، فقد سمح الدكتور زكي نجيب محمود رئيس تحرير المجلة ، وهو صاحب اتجاه فلسفي معين وان كان قد جعل شعار مجلته (فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية) ، بنشر مقال قد يخالف فلسفة رئيس التحرير تحت عنوان « البرجمانية وسياسة المغامرة الاميركية » لشوقي جلال .. وبالرغم من ان نشر هذا المقال مطابق لشعار المجلة ، فهي تفتح صفحاتها كما يقول رئيس التحرير للفكرة ونقيضها « لان الحرية المكفولة لصاحب الفكر ، مكفول مثلها لصاحب النقيض شريطة أن يكون المتعارضان في الفكر متحدين في الغاية ، هادفين معا بالتعاون على القاء الضوء في طريق المواطن العربي في نهضته الراهنة » ـ نقول رغم هذا كله يرد رئيس التحرير على مقال « البرجماتية وسياسة المغامرة الاميركية » ليس في مقال تال لها مباشرة ، بل في استهلال العدد ، وفي المقال الاول من المجلة ، أي قبل أن يطالع القارىء المقال نفسه .

وكتب الدكتور تبريرا لذلك في الاستهلال يقول : « فكان لا بد لكاتب المقال الاول وهو رئيس تحرير هذه المجلة ألا يدع هذا الذي يظنه خطأ في الفهم ليتسرب الى عقول القراء ومنهم طلبة ودارسون ومنهم مطالعون يريدون وجه الحقيقة وراء ما يقرأون . كان لا بد لرئيس التحرير وهو من المشتغلين بالفلسفة أولا أن يتلافى الضرر قبل وقوعه وأن يحتج أولا على أن تكون سوق السياسة ذات اثر في فهم المذاهب الفلسفية الى كل هذا الحد » .

والحقيقة ان اختطاف أناس ناجحين في مجالاتهم ووضعهم في مراكز ادارية سياسية ليست ناجحة على اطلاقها . فمن غير المجدي ولا المعقول أن نكافىء مهندسا ناجحا دؤوبا على الاختراع بأن نعينه رئيسا اداريا على مصنعه . ان مصنعه في هذه الحال سيخسر طاقات فرد خلاق كفء . وحتى هذا المنصب لا يعتبر تشريفا لنجاح فرد خالق .

وكذلك الامر اذ نرى ناقدا أو شاعرا ناجحا يضيف ويثري حركتنا الفكرية وهي في مسيس الحاجة الى اضافاته ، فنجمده ونقيده بأغلال منصب اداري يحتاج الى كفاءات أخرى . ولعل لدينا الكثيرين من الاداريين الذين خلقوا لهذا العمل الذي يحفل بالروتين .

ومن المؤسف اننا جنينا باتباع هذا المنهج على الكثيرين من مفكرينا وعلى حياتنا الفكرية نفسها ، وتسرب ذلك الى كثير من طاقاتنا الخلاقة .. على الرغم من وجود معهد للادارة ومعهد عال للادارة العليا .. تخرج منه كثير من الاداريين .

لقد قالوا قديما اننا حتى لو دفعنا لصا ليتعقب لصا ، لما استطاع أن يمسك به ، وكل الذي يستطيع أن يقف عليه هو معرفة أسلوب اللص الاول في السرقة ...

ولعل البعض يتساءل : لماذا يقبل هؤلاء المفكرون والخلاقون هذه المناصب ؟ أجريا وراء رواسب بورجوازية ؟ أم ان ظروفهم القاسية جعلتهم يركنون الى الراحة ؟

من الواجب أن يتفرغ هؤلاء الى أعمالهم وان تنظر لجان التفرغ في تفرغهم حتى لا يركنوا الى المناصب الادارية وتحرم البلاد من طاقاتهم .

ومن المطمئن أن نجد كاتبا مثل الدكتور جمال حمدان ، استطاع أن يحافظ على ملكاته الابداعية صافية نقية .. فقد كلفت من مجلة « الآداب » يوما ان اطلب منه كتابة موضوع ، فحرت لانني لم اعرف عنوانه من دليل التليفون فليس عنده تليفون وليس له مركز اداري .. وقد استقال كما عرفت من الجامعة . واخيرا عثرت على عنوانه من مجلة « الكاتب » التي يوافيها بالموضوعات التي تعن له تقييما للحظة التي نجتازها . وقالوا لي انه لا يقابل احدا ، بل عليك مراسلته رسميا . وكان .. ولكنه اعتذر ، فليس مثله من يكلف كما عرف عنه . ولكنه وعدني أن يوافي المجلة بمقالات يختارها هو .

واذا رجعنا لموضوعنا الاصلي وهو التنقلات التي حدثت في قيادات المراكز الثقافية ، نقول : لا بأس اذا قبل أحد المفكرين لضرورة وطنية ان يترك فكره مؤقتا ويقبل منصبا اداريا .. وعلينا أن نعطيه فرصة يدير فيها منشأته . فاذا صادفه توفيق فعليه ان يستمر حتى تستقيم المنشأة . ولكننا نقلنا العالم الى مؤسسة المسرح قبل أن يتم الذي بدأه .

ان العالم في دار الكاتب حقق دفعة فكرية ملموسة .. ففي خلال فترة رياسته من بداية عام ١٩٦٦ الى نهايته ، ارتفع مستوى ما تقدمه الدار . فقدمت مصنفات مختلفة ابداعية ونقدية أشاعت جوا من الثقة والتفاؤل ، وأفسحت مجالا رحبا للشباب ، الذين قدموا اتجاهات فكرية متضادة ، أبرزت الكثير من مواهبهم وامكانياتهم . وكان العالم في تخطيطه وقراراته متسما بروح انسانية عامة لا تقف عند اتجاه وتنحيز له .

فكان ضمن ما قدمته الدار من الاعمال الايدلوجية (جذور الاشتراكية الالمانية) و (العلم والحضارة) ، ومن الاعمال المحايدة (قصائد من برتولد بريخت) ، (صراع مع الماضي) ، (الخروج من التابوت) ، (علم الفلكلور) . ومما نشر للشباب (فوستوك يصل القمر) لمجيد طوبيا ، (مع السمسميه) لحسين طنطاوي ، (الطريق والقلب الحائر) لاحمد سويلم .

كما انفردت الدار بنشر سلسلة كتب المعركة ، لتواكب الظروف السياسية . واكثر ما اهتم به العالم هو الخطة . فقد رسم خطة للدار للمرة الاولى ، وكانت موزعة على جميع المعارف والعلوم بنسب متفاوتة دون اغفال فرع منها . ومن المعروف انه وضع قبل نديه خطة عام ٦٧ ـ ٦٨ وهي التي سيتم تنفيذها الان .

وأهم معالم هذه الخطة انها تهتم بالفكر العقلي والفكر التقدمي ، وانها تتضمن تكليفا في التأليف وهذه ظاهرة جديدة . ومن ذلك مثلا كتاب (المنطق الجدلي عند هيغل) للدكتور زكريا ابراهيم ، والمؤلفات الكاملة لدستويفسكي ترجمة سامي الدروبي التي ستصدر في تسعة عشر جزءا . ثم أعمال جمال الدين الافغاني وغيرها .

وتستطيع أن تحدد فلسفة الخطة في مفهوم أساسي عام هو أن يعبر الكتاب العربي والمجلة العربية تعبيرا أصيلا عن الثورة التحررية الاجتماعية والقومية في الوطن العربي كله . وأن يشارك الكتاب والمجلة مشاركة فعالة في دفع هذه الثورة وتعميقها تعجيلا لازالة العدوان ، والانتقال بمجتمع الجمهورية العربية المتحدة الى الاشتراكية اسهاما في انفتاح الثورة العربية الشاملة وتحقيق أهدافها العامة من تحرر واشتراكية ووحدة . على ان تحقيق هذا الهدف ، لا يعني التراخي عن تغذية الوجدان الثقافي بأشرف ما في التراث الانساني من ناحية وتعميقه بأرفع ما في تراثنا العربي القديم من ناحية أخرى ، بما يتفق واحتياجاتنا الحضارية والنضالية في هذه المرحلة بالذات (احياء التراث . ترجمة الاعمال الجيدة . اخراج مجلات متخصصة . الاهتمام

بالدراسات النظرية العربيـــة والاشتراكية وبشكل خاص قضيـــة فلسطين . الاهتمام بالثقافة العلمية . تنشيط الحركة الادبية . العناية بالجيل الجديد من الادباء . الاهتمام بثقافة الطفل . نشر الثقافـــة الفنية ، خاصة الفنون التشكيلية ، والاهتمام بنشر انتاج الكتاب العرب جميعا . اصدار طبعات شعبية . الاهتمام بتبسيط الثقافة للمستويات البسيطة . ترجمة الاعمال العربية الى اللغتين الفرنسية والانكليزية) . ويلاحظ أيضا ان الخطة بجانب انها تضمنت عشرين ديوانا ، قد خططت للسلاسل الدورية وغير الدورية مقدما ، ومن السلاسل الدوريـــة تراث الانسانية . المكتبة الثقافية . أعلام العرب . أعلام الفكر (التي لم تصدر بعد) . ومن السلاسل غير الدورية : الفكر السياســـي والاشتراكي . الادب العربي الحديث . روائع الادب العالمي ، وقد حوت أيضا روائع من أدب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

وقد كتب الاستاذ أحمد بهاء الدين في مجلة « المصور » مرحبا بصدور أول مجلد من أعمال دستويفسكي الكاملة باللغة العربيـــة ، فقال : (ان أي مبلغ ينفق على نقل الفكر الانساني الاساسي في كل الفنون والعلوم الى اللغة العربية يعادل انشاء جامعة جديدة بالضبط. وهذا الاتجاه وان بدا في الاول باهظ التكاليف ، الا انه مربح ماديا في المدى الطويل . فحين تتفق مؤسسات النشر على ترجمة عمـــل سيعيش مئات السنين ترجمة ممتازة ونهائية يقوم بها أحد الخبـــراء الاكفاء ، سوف تصبح هذه الترجمة النهائية التي تطبع باللغة العربيـة مئات السنين ، ستصبح مثل كتب التراث العربي التي تطبع سنة بعد سنة ، لحاجة الفكر اليها) . ثم وجه في اخر المقال : (تهنئتي للاستاذ سامي الدروبي وللاستاذ العالم الذي كان له فضل بدء هذه الفكرة وان كان قد ترك مؤسسة النشر هذا الاسبوع ليشرف على مؤسســـة المسرح . وأرجو أن تكون نتيجة هذه التجربة مشجعة لان تبدأ وزارة الثقافة فورا في التعاقد مع كبار المثقفين لترجمة أهم الاعمال الانسانية طبقا لخطة مدروسة) .

وقد عبرت مجلة « صباح الخير » عن أسف المثقفين لنقل العالم لمؤسسة المسرح ، ليس لانه مركز لا يليق به بل حفاظا على ما أنبتـه العالم من زرع بدأ يؤتي أكله .

« المسامير » بين النقاد

بالرغم من ان العمل الاداري قد غمر الاستاذ العالم الى الذروة ، فقد استطاع أن يفلت بنفسه لحظات ، ليكتب مقدمة خاطفة لمسرحيـة « المسامير » لسعد الدين وهبه حيث قال معتذرا في سطورها الاولى : (وحسبي من هذه الكلمة التي أقدم بها المسرحية أن تكون أقرب الـى التحية منها الى التقديم الذي أتمناه) وقد دفع بها العالم الـــى المطبعة حتى توافي الامور بما عبر فيها مؤلفها عن رأيه في المشكـــلة التي واجهتنا بعد النكسة ، وكيفية الخروج منها ، وكسر بذلـــك الروتين الذي كان سيؤخرها حتى تأخذ دورها .

وقـــد ثار بسبب « المسامير » سؤال : أين انتاج المفكريـــن في المعركـة ؟

ونعتقد انه من الاجحاف بمكان أن نطلق الاحكام الكلية عـــلى كتابنا ونتهمهم بأنهم يقفون موقف المتفرج . وقد يكون من الانصاف ان نمعن النظر في ملاحظة هذه النكسة ونعرف ان استيعابها من جميـع زواياها يتطلب قدرات مركبة قد لا تتوافر لدى كثير من فنانينـــا الحساسين ، الذين بددت طاقاتهم صدمة النكسة نفسها ، فجعلت من الصعوبة استجماعها وعكسها . هذه حقيقة لا يستهان بها . هـــل يصدرون في كتاباتهم عما يسعف نفوسهم وعما يحسون به كأمـــل للخروج من النكسة وذهاب الى ضرورة الحرب ـ رغم ان هنالك كتابا آخرين يفضلون سياسة الاروقة الدبلوماسيـــة نظرا لامكانياتنا الحالية ـ فتخرج أعمالهم اعمال لحظة متغيرة لا يبقى منها بعد ذلك شـــيء للتاريخ ، كما يقول دارسو مسرح برنارد الذي كان يعبر في مسرحياته عن الحرب الدائرة بين ايرلندا وانكلترا ، ثم يسكت بعد انتهـــاء الحـــرب ؟

لقد حدث عندنا في المحيط الضيق مثل هذه التجربة ، فمسرحية الشهيد لعلي أمين التي قدمها المسرح الحديث أثناء المعركة لاقت نجاحا كبيرا ، وعندما أعيد عرضها بعد النكسة في الاسكندرية ، لم تـــلاق نفس النجـــاح .

والحق ان هناك بعض النفوس التي سلمت من هذا التردي فـــي دوامة الحيرة ، فنظرت في اتجاه واحد وللامام ولم تنظر خلفهـــا ، فكتبت رأيها وقولها في الموقف الراهن مثل مسرحية « المسامير » التي نحن بصددها ، والتي نشرت اخيـــرا . فهـي تؤكـد ضرورة استمرار الثورة على جميع المستويات حتى نهزم الهزيمة . قال عنها أحد النقاد : (انها تشير الى الطريق الصحيح الذي يجب ان يلتزم به الاديب فـــي ظروف التحدي الخطير الذي نواجهه ، فالمؤلف يقول في هذه المسرحية كلمته بشجاعة وبفن ، مثبتا ان لا تنافر هناك بيـــن الفن والصراحة) .

وفي رأينا ان فضل مسرحية « المسامير » الاكبر هو تحريك الركود الذي سكنت اليه حياتنا النقدية والابداعية . وقد حولت هذه المسرحية الى حلقات في برنامج اذاعة صوت العرب ، وكتب اكثر من مقال يطالب بأن تكون هذه المسرحية افتتاحية الموسم المسرحي . وظهرت لها دراستان نقديتان خلاف المقدمة .. احداهما بمجلة « الكاتب » والاخـــرى بمجلة « المسرح » .

ففي شهريات المسرح بمجلة « الكاتب » كتب بهاء الطاهر تحت عنوان « المسامير في وقتها » مقالا بدأه بداية حماسية للمسرحيـــة ولام من لزموا الصمت قائلا : « تكسر مسرحية المسامير حدة الصمت المخيف الذي خيم على الحياة الادبية والمسرحية ، ريثما يتفرغ الادباء (لاستيعاب التجربة) وهو التعبير الذي أصبح تبريرا للتبلد والخوف من المبادرة . والصمم ازاء نداء الواجب البديهي) . ثم قال : (ان كل الدلائل تشير الى الرغبة في تعميق الديمقراطية باعتبارها وسيلة لاطلاق كل طاقات الشعب ، ومن ثم لتجاوز النكسة . وواجب الاديب المثقف هو أن يساهم في تأكيد هذا المفهوم لا أن ينتظر وصـــوله الى مداه ، أن يلح لا أن يتفرج وينتظر . ولكن بما ان موقف معظـــم أدبائنا حتى الان كان هو التأمل الرصين فان أحدا لا يستطيع اعفاءهم من المسؤولية) . ولانصار (استيعاب التجربة حتى يأتي التعبـــير ناضجا) أشار بهاء الى ان كثيرا من الاعمال الادبية والمسرحية التـــي أحيوها كانت استجابة مباشرة للتجارب العصيبة في تاريخ الامم مثـل « افول القمر » لشتاينبك ، و « لمن تدق الاجـــراس » لهمنغواي ، و « نجمة » لكاتب ياسين .

وبينما بدأ مقال بهاء بالحماس والالحاح على فطع لا مبالاة كتابنا، وهي لهجة الشباب القلق الشفوف بالنصر ، يأتي مقال الدكتـــور عبد القادر القط في مجلة « المسرح » هادئا متأنيا يتخطى هذا النداء من الخارج ليأتي به من داخل المسرحية وعلى لسان بطلهـــا الفـلاح (عبد الله) . :

(الرصاص بتاعهم طير الحمام م الابراج ، وجزمهم فطست الزرع في الفيط ، ودخانهم خنق المواشي ، ونارهـــم حرقت الاجران . كل حاجة حلوة في بلدنا يا ضاعت يا حتضيع . الزرع الاخضر اللـي كان فارش على وش الارض راح ، زرعوا مسامير يا رجاله . مسامير.. اذا مشينا بنمشـــي على المسامير ، واذا كلنا بناكل مسامير ، واذا أخذنا نفسنا المسامير واقفة في حلقنا . كل واحد منا تخنقه وتموته . يا رجاله ايدينا في ايدين بعض . تقلع المسامير م الارض . وترجع تخضر . تسكت الرصاص عشان الحمام يرجع أبراجه واليمام يرجـع لعشه . ايدينا في ايدين بعض) .

وأظن ان موضوع المسرحية كما هو واضح من نداء هذا الفلاح ومن نداء الكتاب بضرورة أن نبدأ بها موسمنا المسرحي ـ كتتويج لرأي

حر قيل في اللحظات الحرجة التي يمر بها بلدنا ـ هو موضوع اللحظة التي نعانيها بعد النكسة وضرورة كسر اغلالها ، وان استعارت لنفسها ثوب ثورة ١٩١٩ حتى تتخطى به اطار التسجيلية الواضح المباشر .

واذا كان سعد وهبه قد رجع القهقرى لثورة ١٩ لتشابهها ـ بتبديل الانكليز باسرائيل ـ مع ظروفنا الان ، فقد اختار مكانها قرية الكفر لما يمكن أن تحتويه هذه القرية من عناصر يمكن الرمز بها لطبقاتنا الحالية : الفلاحين في نظرتهم للحرب بين مقدم عليها ومتحمس وبين متخوف منها ومتحير . ونساء القرية اللواتي يخشين الترمل والثكل بعد ان فقد بعضهن بالفعل أزواجا وأولادا أو أخوة . وهناك أيضا زيدان بك واعوانه من ملاك الارض وناظر عزبته رشدان الذين وضعوا أيديهم علانية في أيدي الانكليز . وفي وسطهم المدرس رمزي الذي يمثل المثقف الذي يظن ان حل المشاكل يأتي بالمناقشة .

والاختلاف الذي نراه نحن في مستويات هذه القرية ينحصر في زيدان بك وأعوانه . هذه الطبقة كانت موجودة بالفعل في ثورة ١٩١٩ ولكني أشك في اثرها الفعلي في النكسة الاخيرة . وأظن ان من أكبر ما أحدثته الثورة في نفوس الطبقات انها أعلت الحس القومي فوق الحس الطبقي في أوقات الشدة على الاقل .

وقد اختلفت المقالتان والمقدمة حول بعض مفاهيم المسرحية واتفقت حول بعضها الاخر .. وكان أوضح الخلافات حول (مشهد الجلد) ، فكتب العالم في المقدمة : (انهم يفرضون على القرية عددا معينا من الاهالي لكي يجلد كل يوم ولكنهم يعفون كل من يملك أرضا ، كما يعفون الموظفين والمتعلمين اذ انهم يدركون ان اعداءهم الحقيقيين هم جماهير الشعب الكادح اصحاب المصلحة الحقيقية في الاستقلال الحقيقي)

واعترض الدكتور القط في مقاله على تصوير هذا المشهد (كانت استجابتهم المستكينة لهذه العقوبة شيئا غريبا على طبيعة الثوار . فقد يعجز الثائر على الخلاص من هذه المحنة ولكنه يحاول على الاقل أن يتجنبها ، فاذا فشل فانه يعانيها بروح من التمرد والاستعداد للثأر) .

ولكن بهاء طاهر مر على هذا المشهد على انه مبرر للغاية .. موافقا بذلك « فرانز فانون » الذي يقول : (ان المضطهد يستمد ثوريته من العنف الذي ينصب عليه من المضطهد) وأكد بهاء مفهومه هذا عندما قال : (وتصهر محنة الجلد والقهر الكثيرين من امثال رمزي فيعود هو أيضا ومعه علوان ومنصور لكي يقفوا مع عبد الله وباقي الفلاحين) .

واجتمعت كلمة النقاد على ان فاطمة زوجة الثائر عبد الله أقوى وأشد وأليق لتعتلي البطولة من الثائر نفسه . فقد كتب العالم : (ولا تنتهي رحلة المسرحية الى انتصار ساذج وانما تنتهي بنبوءة حارة تعلن مواصلة النضال ، وتتألق النبوءة على لسان فاطمة) . وكتب الدكتور القط يقول : « فشخصية عبد الله في أغلب مواطن المسرحية شخصية ضعيفة تفتقد القدرة على الاقناع والطاقة الكبيرة والايجابية وسائر الصفات التي تجعله صالحا لتحمل هذا الرمز من زوجته فاطمة) . ثم ذكر الدكتور القط ملاحظة حساسة هي ان حوارها يناقض أحيانا صورتها الشاعرية المطلقة في نهاية المسرحية كقولها ردا على الخفير : (جاك جالوص طين لما ينحشر في زورك ما توعى تطلع نفسك) .

وكتب بهاء : (كذلك فان شخصية فاطمة تستدعي أن نتوقف عندها قليلا . فقد جعل سعد الدين وهبه من هذه الشخصية ركيزة ومحورا أساسيا في المسرحية لبلورة المعاني التي يريد ان يؤكدها) ، وفي رأي بهاء ان شخصية فاطمة تبدو مضغة في ابعادها الواقعية باعتبارها زوجة فلاحة لعبد الله المجاهد . وفي هذه الحدود الواقعية يقبل الانسان جرأتها ووعيها بل وفصاحتها . ولكن حين نتخلى عن هذا الوضع المحدد لتصبح اكثر من حجمها وحين تشرع في المونولوجات الطويلة ذات اللغة التي أريد بها أن تكون شاعرية فان نوعا من القلق يصيب المسرحية . فهناك أجزاء كثيرة من هذه المونولوجات تشوبها العاطفية السهلة والبلاغة المصطنعة التي تنجح المسرحية في تجنبها معظم الوقت) .

وحول النهاية اتفق الدكتور القط وبهاء على ضرورة حذفها . فقال الدكتور القط : (هكذا يظل المشهد الاخير قائما بنفسه قد يثير حماسة المشاهدين واعجابهم ولكنه لا يبرر هذا الانفصال بين الواقع والرمز ولا ذاك التبذير في الحوار والحركة المسرحية) . وقال بهاء : (ولو كان الامر بيدي لحذفت مشهد حلم فاطمة الختامي ولاختزلت الكثير من مونولوجاتها المطولة وما يشابهها . وذلك لكي يتحقق للمسرحية أحكام التركيز الذي تتمتع به في معظمها) .

ولعل اجماع النقاد على ان دور فاطمة قد فاق دور البطل الذي كان من المفروض ان يجسم الرمز ، يرجع الى ان سعد وهبه يكتب مسرحيته وفي مخيلته ان البطلة هي الممثلة سميحة أيوب وقد لعبته فعلا عندما حول الى حلقات اذاعية وفي مسرحيات كثيرة كان اخرها مسرحية « الفتى مهران » لعبد الرحمن الشرقاوي ، وقد صور الشرقاوي البطل (مهران) مريضا كما صور سعد وهبه أيضا بطله (عبد الله) مريضا .. لكن الشرقاوي كان يصور مهران مريضا بقصد ان كل فكرة تحمل في طياتها بذور فنائها بدليل ان مهران مات في نهاية المسرحية . لكن عبد الله في « المسامير » لم يمت بل ظل يكافح .. وتفنت فاطمة بكفاحه في اخر المسرحية . وهذا يوضح ان ليس لمرض عبد الله ضرورة في مسرحية « المسامير » .

ولنا في الختام ملاحظة جانبية : فقد فوجئنا في نهاية المسرحية (ص ١٧٠) بزيدان ومعه رشدان ناظر عزبته ، وهما يدفعان فاطمة خارج المسرح . ونحن نتساءل : ألم يقف رشدان بعد مشهد الجلد بجانب الفلاحين ، محققا قولة نهرو : « اذا رفض أعوان الطاغي حمل السلاح ضد المضطهدين فقد قامت الثورة » ؟ وهنا نجد رشدان قد رجع مرة أخرى الى الطاغية زيدان بك . وهذا ذو دلالة سيئة .. وأرجو أن يكون في ذلك خطأ مطبعي ، لا سيما وان رشدان قد اختفى بالفعل بعد مشهد الجلد .

القاهرة — عايدة الشريف

صدر حديثا

ثائر وحب

ديوان شعر

للدكتور ابو القاسم سعد الله

دار الاداب